السمات المكوناتية الدلالية لحقل (المجيء) في الخطاب القرآني: مقاربة تحليلية.

Semantic Componential Features of the Lexical Field of "Coming" in Qur'anic Discourse: An Analytical Approach

م.م إيمان إبراهيم حسين محمد

Assistant Lecturer Eman Ibrahim Hussein Mohammed

وزارة التعليم العالي (الجامعة التكنلوجية)

University of Technology, Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research.

البريد الإلكتروني: iman.i.hussain@uotechnology.edu.iq

الكلمات المفتاحية: السمات المكوناتية، حقل المجيء، التحليل الدلالي، مصفوفة السمات، الخطاب القرآني.

Key words: Componential features, semantic field of coming, semantic analysis, feature matrix, Qur'anic discourse.

الملخص:

تتمحور هذه الدراسة حول فحص البنية الداخلية للفعل (جاء) وما يتصل به من أفعال تقع ضمن حقل (المجيء) في الخطاب القرآني، وذلك عبر استنطاق السمات المكوناتية التي تمنح كل لفظة خصوصيتها الدلالية. وقد لاحظت الباحثة أن الدراسات السابقة غالباً ما كانت تقف عند حدود المعنى المعجمي أو السياق الخارجي، دون النفوذ إلى (الجزيئات الدلالية) الدقيقة التي تجعل (جاء) يحل في موضعٍ لا يسد مسدَّه فيه فعلٌ آخر كـ (أتى) أو (قدم).

وتقوم فرضية البحث على أن الفعل (جاء) في القرآن الكريم ليس مجرد مؤشر على الحركة، بل هو كتلة من السمات الدلالية المختارة بعناية، والتي تتشكل وفق مقتضيات العقيدة والبيان. ولتحقيق أهداف الدراسة، تم الاعتماد على المنهج التحليلي المكوناتي؛ لتفكيك هذه الأفعال إلى عناصرها الأولية، ومقارنتها ببعضها البعض للكشف عن الفروق الدقيقة، مع الاستئناس بمدونات التفسير واللغة لضبط هذه المكونات.

وقد انتهت الدراسة إلى أن الفعل (جاء) يمثل القطب المركزي للحقل، حيث ينفرد بسمات (الثقل والجهد والعظمة)، وهو ما يفسر استدعاءه في مواقف الشدة وأهوال القيامة. وفي المقابل، تتمايز بقية الأفعال (كـ أتى، وورد، وحضر) بسمات نوعية تتراوح بين (اليسر، والغاية، والشهود الحسي). وأثبتت المقاربة التحليلية أن مصفوفة السمات الدلالية لكل فعل هي التي تحدد وظيفته داخل السياق، مما يجعل كل لفظ قطب رحى في مكانه، ويؤكد الإعجاز النظمي للقرآن في توظيف أفعال المجيء والحضور بما يتناسب مع جلال الموقف وقوة المعنى.

Abstract:

This study focuses on interrogating the semantic system of the "Coming" field verbs in the Quranic text, relying on Componential Analysis as a linguistic tool to deconstruct verbs such as (Ja'a, Ata, Warada, Wafada, etc.) into their smallest semantic units. The research aims to debunk the notion of "absolute synonymy" in the Quran and demonstrate that word choice is subject to a precise linguistic engineering that considers the finest emotional and intentional details Through its chapters, the study concludes that the verb (Ja'a) represents the central pole of the field, uniquely characterized by features of "heaviness, effort, and grandeur," explaining its invocation in contexts of severity and the terrors of Resurrection. In contrast, other verbs (such as Ata, Warada, and Hadara) are distinguished by qualitative features ranging from "ease and purpose to sensory witnessing." The analytical approach proves that the "Semantic Feature Matrix" for each verb determines its function within the context, making every term a "pivotal axis" in its place, and confirming the structural miracle of the Quran in employing verbs of coming and presence in a manner that suits the majesty of the situation and the power of meaning.

المقدمة

الحمـد لله الـذي أنـزل كتابـه بلسـان عربـي مبـين، وجعـل فـي كـل حـرفٍ منـه حكمـةً وبيانـاً، والصلاة والسلام على نبينا محمد، أفصح مَن نطق بالضاد، وبعد:

إن المتأمـل فـي النسـيج اللغـوي للقـرآن الكـريم يـدرك يقينـاً أن اختيـار الألفـاظ لـيس مجـرد رصـفٍ للكلمـات، بـل هـو هندسـة دقيقـة يُوضـع فيهـا كـل فعـل بميـزانٍ لا يختـل. ولعـل أفعـال (المجـيء) تمثـل نموذجـاً حيـاً لهـذا الإعجـاز؛ فبينمـا يظـن القـارئ العـابر أن (جـاء)" و(أتـى) و(ورد) و(قـدم) تـؤدي المعنـى ذاتـه، يكشـف التحليـل الـدقيق عـن تمـايز عميـق فـي (السـمات المكوناتيـة) لكـل منهـا. فالفعـل فـي القـرآن الكـريم لا يكتفـي بالإخبـار عـن الحركـة، بـل يرسـم ملامـح القـادم، وطبيعة المجيء، والجو النفسي المحيط بالحدث.

يـأتي هـذا البحـث تحـت عنـوان (السـمات المكوناتيـة الدلاليـة لحقـل (المجـيء) فـي الخطـاب القرآنـي: مقاربـة تحليليـة)، ليغـوص فـي أعمـاق هـذه الأفعـال، محـاولاً تفكيـك المعنـى إلـى وحداتـه الدلاليـة الصـغرى. نحـن هنـا لا نكتفـي برصـد الألفـاظ، بـل نسـعى لفهـم (الفلسـفة اللغويـة) التـي تجعـل القـرآن يُـؤثر اسـتخدام لفـظٍ بعينـه فـي سـياقٍ دون آخـر، وكيـف تسـاهم هـذه الاختيـارات فـي بناء المعنى الكلي للنص.

مشكلة البحث

تنبـع المشـكلة الأساسـية لهـذا البحـث كمـا تـرى الباحثـة مـن (وهـم التـرادف) الـذي قـد يقـع فيـه الـبعض عنـد التعامـل مـع أفعـال المجـيء فـي القـرآن، ممـا يـؤدي إلـى تسـطيح الـدلالات القرآنيـة العميقـة. فالتعامـل مـع هـذه الأفعـال كبـدائل لغويـة متطابقـة يحجـب عنـا إدراك الفـروق الجوهريـة التي تمنح النص طاقته التعبيرية.

ويمكن بلورة هذه المشكلة في عدة تساؤلات محورية:

1. مـا هـي العناصـر الدلاليـة الخفيـة التـي تميـز فعـلاً مثل(جـاء) بسـمات القـوة والشدة، بينما تمنح (أتى) سمة اليسر والمطاوعة؟
2. كيـف يوجـه السـياق القرآنـي (المقـامي واللغـوي) دفـة المعنـى لتحديـد الفعـل الأنسب للموقف؟
3. إلـى أي مـدى يـنجح (التحليـل المكونـاتي) فـي إظهـار الدقـة النظميـة للقـرآن، وتفنيد القول بالترادف المحض في حقل المجيء؟

أهداف الدراسة

1- التفكيـك الـدلالي: تحليـل أفعـال المجـيء وتفكيكهـا إلـى (سـمات مكوناتيـة) تميـز كـل لفـظ عن أقرانه في ذات الحقل.

2 - اسـتنطاق السـياق: دراسـة التفاعـل بـين بنيـة الفعـل والبيئـة النصـية التـي احتضـنته، وكيـف يتشكل المعنى من هذا الالتقاء.

3- إثبـات التفـرد البيـاني: تقـديم برهـان لغـوي علـى أن كـل مفـردة فـي القـرآن هـي (قطـب الرحـى) في مكانها، ولا يمكن تعويضها بغيرها دون فقدان جزء أصيل من المعنى.

منهجية البحث:

يسـلك البحـث المـنهج الوصـفي التحليلـي، متسـلحاً بـأدوات (علـم الدلالـة الحـديث) ومسـتنيراً بـآراء علمـاء التفسـير واللغـة القـدامى، لخلـق رؤيـة تكامليـة تشـرح كيفيـة بنـاء المعنـى فـي حقـل المجيء القرآني.

المبحـث الأول: تفكيـك (حقـل المجـيء) لغويـاً: تحليـل السـمات الجوهريـة بـين مركزيـة (جـاء) وتفرعات (أتى وأخواتها):

حـين نقـارب لغـة القـرآن الكـريم بمـنهج التحليـل المكونـاتي (Componential Analysis)، نجـد أننـا أمـام نظـام دقيـق يقـوم علـى تفكيـك الفعـل إلـى ذراتـه الدلاليـة الصـغرى التـي تسـمى (السـمات). هـذه المقاربـة تسـمح لنـا بفهـم لمـاذا لا تتحـرك المفـردة القرآنيـة فـي فـراغ، بـل تـؤدي وظيفـة مرسـومة بدقـة وفـق مصـفوفة مـن العناصـر الجوهريـة التـي تميـز كـل فعـل عـن أقرانـه فـي ذات الحقل الدلالي (السامرائي، 2000م،104)

ويعتمـد هـذا المبحـث علـى مصـفوفة سـمات (موجـودة + أو غيـر موجـودة –) لتوضـيح الفـروق بين أفعال المجيء، مما يبرز إعجاز النظم القرآني في اختيار اللفظ الأنسب للموقف السياقي:

مصفوفة المكونات الدلالية لحقل المجيء (نموذج تحليلي):

الفعل	سمة (الحركة)	سمة (القصد)	سمة (الثقل/الصعوبة)	سمة (التشريف)
جاء	+	+	+	–
أتى	+	+	–	–
وفد	**+**	**+**	**–**	**+**
ورد	**+**	**+**	**+**	**–**

أولاً: مركزية الفعل (جاء) وسمات الثقل والحتمية:

يمثل الفعل (جاء) في النظم القرآني القطب المحرك لهذا الحقل، فهو الفعل الذي يُستدعى حين يثقل الموقف أو يشتد الحدث. وتتمثل سماته المكوناتية في: [+ القوة، + الجهد، + هيبة السياق]. ويظهر التحليل الدلالي أن القرآن يوظف (جاء) حينما يتطلب السياق إبراز عظمة الحدث أو حتميته، سواء في المواقف التشريعية أو الغيبية:

المجـيء فـي سـياق الأحكـام: كمـا فـي قولـه تعـالى: ﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا لَا تَقْرَبُـوا الصَّـلَاةَ وَأَنْـتُمْ سُـكَارَىٰ حَتَّـىٰ تَعْلَمُـوا مَـا تَقُولُـونَ ... ﴾ (سـورة النسـاء: 43)، حيـث يـرتبط المجـيء هنـا بحـدث يستوجب حكماً شرعياً ثابتاً.(الطوسي،1957م،347).

- سـمة الحتميـة فـي أهـوال القيامـة: يتجلـى الثقـل الـدلالي فـي قولـه **تعـالى:** ﴿ فَـإِذَا جَـاءَتِ الطَّامَّـةُ الْكُبْـرَىٰ ﴾ **(النازعـات: 34)**، نلحـظ أن (جـاء) هنـا ليسـت مجـرد وصـول، بـل هـي هجـوم الحـدث بعظمتـه. صـوت المـد فـي (جـاء) والهمـزة التـي تليهـا تعكـس صـدمة وقـوع الطامـة التـي لا يصـح معهـا فعـل (أتـى) الرقيـق. كـذلك فـي قولـه تعـالى: ﴿ فَـإِذَا جَـاءَتِ الصَّـاخَّةُ ﴾ **(سـورة عـبس: 33)**. تـرى الباحثـة اختيـار (جـاء) هنـا ينسـجم تمامًـا مـع سـمة الحتميـة والشـدة التـي تليـق بعظمـة يوم الحساب.

ثانياً: انسيابية الفعل (أتى) وسمات اليسر والمطاوعة:

علـى النقـيض تمامًـا مـن (جـاء)، يتصـف الفعـل (أتـى) بسـمات مكوناتيـة تميـل نحـو: [+ اليسر، + المطاوعة، – الجهد]. فالمجيء هنا يشير إلى وقوع الحدث بسلاسة أو سهولة:

سياق الحركـة الطبيعيـة: تأمـل قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّمَـا قَوْلُنَـا لِشَـيْءٍ إِذَا أَرَدْنَـاهُ أَنْ نَقُـولَ لَـهُ كُـنْ فَيَكُـونُ ﴾ (سـورة النحـل: ١)، رغـم أن أمـر الله عظـيم، إلا أن التعبيـر بـ (أتـى) هنـا يشـير إلـى سـهولة وقوعـه بمجـرد الإرادة الإلهيـة دون حاجـة لوسـائل، كأنـه ينسـاب انسـياباً لا رادّ لـه (الطبـري،2000م،65،القرطبـي،(ب،ت)،65). وقولـه تعـالى: (النمـل: 18)، حيـث يصـف القـرآن المجيء هنا كفعل طبيعي لا مشقة فيه.

- سـياق الخبـر والاسـتئناس: كمـا ورد فـي قولـه تعـالى: ﴿ هَـلْ أَتَـاكَ حَـدِيثُ الْغَاشِـيَةِ ﴾ (سـورة الغاشية: 1)، حيث يتسم المجيء المعنوي هنا بالسلاسة واللطف في الطرح.

المفارقـة المذهلـة: تبـرز جليـاً فـي قصـة مـريم (عليهـا السـلام)؛ ففـي مقـام المجـيء المـادي بالرضـيع(الحركة البدنيـة) قـال تعـالى: ﴿ فَأَتَـتْ بِـهِ قَوْمَهَـا تَحْمِلُـهُ ۖ قَـالُوا يَـا مَـرْيَمُ لَقَـدْ جِئْـتِ شَـيْئًا فَرِيًّـا ﴾ (سـورة مـريم: 27) نظـراً لسـمة اليسـر فـي الحمـل. ولكـن عنـدما واجهـت المجتمـع بـالمعجزة العظيمـة كـان الـرد: ؛ لأن (الشـيء الفـريّ) ثقيـل ومنكـر، فاقتضـى اسـتعمال (جـاء) ليعبـر عـن بشاعة الموقف وشدته(الطبري،2000م،76، الألوسي،1415هـ،87)

ثالثاً: التحليل المكوناتي للأفعال التخصصية (أخوات جاء):

لـم يتـرك القـرآن بقيـة أفعـال الحقـل للصـدفة، بـل مـنح كـل فعـل "وظيفـة تخصصـية" بنـاءً علـى سماته المكوناتية:

- الفعـل (قـدم) وسـمة الحصـيلة : يحمـل سـمة [+ الأثـر المسـبق / الإتمـام]؛ فهـو مجـيء مـرتبط بنتيجـة عمـل سـابق، كقولـه تعـالى:﴿ يُنَبَّـأُ الْإِنسَـانُ يَوْمَئِـذٍ بِمَـا قَـدَّمَ وَأَخَّـرَ ﴾ **(سـورة القيامـة: 13)**. المجـيء هنـا لـيس حركيـاً بـالمعنى الفيزيـائي، بـل هـو حضـور الأعمـال كنتيجـة لمـا سـبق، ممـا يجعل سمة [+ الأثر] هي الطاغية.

الفعـل أقبـل: يتسـم بسـمة [+ القـرب النفسـي / التوجيـه]، وغالبـاً مـا يـرتبط بطمأنـة القـادم (الشعرواي،(ب،ت)،7042) ' كقولـه تعـالى لموسـى: ﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَا مُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ (سورة القصص: 31).

- الفعـل حضـر: تبـرز فيـه سـمة [+ الشـهود / المصـيرية]، ويـرتبط بلحظـات حاسـمة كـالموت كقولـه تعـالى : ﴿ كُتِـبَ عَلَـيْكُمْ إِذَا حَضَـرَ أَحَـدَكُمُ الْمَـوْتُ إِنْ تَـرَكَ خَيْـرًا الْوَصِـيَّةُ... ﴾ (سـورة البقـرة: 180).

الفعـل طـرق: يتميـز بسـمة [+ المجـيء الملمـوس / الوسـيلة]، سـواء كـان حقيقيـاً أو مجازيـاً (ابـم فارس،1979م،449) ، كقوله: ﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴾ (سورة الطارق: ١).

الفعـل غشـى: سـمته المكوناتيـة الإحاطـة [+ الشـمول /التغطيـة]؛ حيـث يغطـي الحـدثُ المشـهدَ بالكامـل ماديـاً أو معنويـاً، كقولـه تعـالى: ﴿ ثُـمَّ أَنْـزَلَ عَلَـيْكُمْ مِـنْ بَعْـدِ الْغَـمِّ أَمَنَـةً نُعَاسًـا يَغْشَـىٰ طَائِفَـةً مِـنْكُمْ ...﴾ (سـورة آل عمـران: ١٥٤)؛ فـالمجيء هنـا لـيس وصـولاً لنقطـة، بـل هـو انتشـار يغطـي المكان كالغشاء، مما يوحي بالتمكن والشمول (الطبرسي،(ب،ت)،438)

الفعـل ورد: يـرتبط بسـمة [+ الوصـول للهـدف / نقطـة محـددة]، وغالبـاً مـا يقتـرن بـالمورد المـائي (ابـن عاشـور ،1984م،98)[: كقولـه تعـالى: ﴿ وَلَمَّـا وَرَدَ مَـاءَ مَـدْيَنَ وَجَـدَ عَلَيْـهِ أُمَّـةً مِـنَ النَّـاسِ يَسْقُونَ ... ﴾ (سورة القصص: 23).

الفعـل وفـد: وسـمة التكـريم: ينفـرد بسـمة [+ الجماعيـة / التشـريف]؛ فهـو حضـور مـنظم بصـفة رسـمية أو تكريميـة: نجـد ذلـك فـي قولـه تعـالى: ﴿ يَـوْمَ نَحْشُـرُ الْمُتَّقِينَ إِلَـى الـرَّحْمَٰنِ وَفْـدًا ﴾ (سـورة مـريم: 85). المجـيء هنـا لـيس عاديـاً، بـل هـو قـدوم (الوفـود) المكرمـة التـي تُسـتقبل بالاحتفـاء، وهـي دلالـة تضـيع لـو اسـتخدمنا (جـاء المتقـون) (الجـوهري،1987م،553،الراغـب الاصفهاني،1992م،528،الطبرسي،(ب،ت)،369)

وكمـا نـرى إن (حقـل المجـيء) فـي الخطـاب القرآنـي يعكـس دقـة اللغـة العربيـة وإعجازهـا الـدلالي؛ فاسـتخدام كـل فعـل فـي موضـعه لـيس عفويـاً، بـل هـو نتيجـة تفاعـل الفعـل مـع السـياق المحـيط (الزمـان، المكـان، والهـدف التواصـلي). فبينمـا يحمـل (جـاء) سـمة الشـدة والحتميـة، يحمـل (أتـى) سـمة اليسـر، وتتكفـل الأفعـال الأخـرى بتحديـد نمـط الحضـور وكيفيتـه. هـذا التوزيـع الـدقيق للسـمات المكوناتيـة يثبـت أن كـل مفـردة هـي قطـب الرحـى فـي سـياقها، ولا يمكـن اسـتبدالها بغيرهـا دون فقدان القيمة الدلالية المقصودة.

وبنـاءً علـى التحليـل السـابق لأفعـال هـذا الحقـل، يمكننـا اسـتخلاص الفـروق الجوهريـة بينهـا مـن خـلال مصـفوفة السـمات الدلاليـة الآتيـة، والتـي توضـح بدقـة كيـف يتـوزع المعنـى بـين هـذه الأفعـال وفقاً لخصائصها الذاتية.

جدول التحليل المكوناتي لأفعال (حقل المجيء) في الخطاب القرآني:

يوضـح الجـدول التـالي عمليـة التفكيـك الـدلالي للأفعـال محـل الدراسـة، حيـث تـم اسـتخلاص السـمات الجوهريـة التـي تفـرق بـين لفـظ وآخـر بنـاءً علـى الاسـتعمال القرآنـي. نسـتخدم الرمـز (+) للدلالـة علـى تأصـل السـمة فـي الفعـل، والرمـز (−) للدلالـة علـى انتفائهـا أو عـدم التركيـز عليهـا في السياق:

الفعل	سمة الانتقال	سمة التعمد/القصد	سمة المشقة/العظمة	سمة المطاوعة/الليونة	سمة الغاية/المور	سمة الحفاوة
جاء	+	+	+	−	−	−
أتى	+	+	−	+	−	−
ورد	+	+	+	−	+	−
وفد	+	+	−	+	−	+
اقبل	+	+	−	+	−	−
حضر	+	−	+	−	−	−

قراءة تحليلية في المصفوفة:

- ثنائيـة (الجهـد واللـين): يظهـر الجـدول أن الفـرق الجـوهري بـين (جـاء) و (أتـى) يكمـن فـي سـمة [المشقة/العظمة]. فبينمـا يشـترك الفعـلان فـي أصـل الانتقـال، ينفـرد (جـاء) بشـحنة تـدل علـى هيبـة الموقـف، ممـا يفسـر اسـتخدامه فـي سـياقات (الطامـة و"الصـاخة)، بينمـا يميـل (أتـى) إلـى سـمة [المطاوعة]، مما يجعله رفيقاً لسياقات النعيم أو الأوامر التي تنفذ بيسر.

1. التخصـيص الغـائي فـي (ورد): نلاحـظ أن فعـل (ورد) يطـابق (جـاء) فـي سـمة [المشـقة] أحيانـاً، لكنـه يتميـز بسـمة [الغايـة]. فـالمجيء هنـا لـيس عشـوائياً، بـل هـو حركـة نحـو هـدف حيـوي (كالمـاء أو النار)، مما يجعله فعلاً تخصصياً داخل الحقل.

2. البعـد النفسـي فـي (أقبـل) و (وفـد): المصـفوفة تكشـف أن فعـل (وفـد) يتفـرد بسـمة [الحفـاوة]؛ وهـو مـا يجعلـه مجيئًـا تشـريفيًا. أمـا (أقبـل)، فيركـز علـى جهـة التوجـه مـع سـمة [اللـين]، لـذا نـراه يُسـتخدم في سياقات الطمأنة وإزالة الرهبة.
3. سـمة الشـهود فـي (حضـر): يتميـز هـذا الفعـل بضـعف سـمة [القصـد الحركـي] أحيانًـا مقابـل قـوة سـمة [المعانية/الشـهود]؛ فـالمجيء فـي (حضـر) هـو حضـور للموقـف والزمـان أكثـر منـه قطعًـا للمسافات.

المبحث الثاني

تجليات الحضور والمجيء في النظم القرآني: تحليل الوظيفة الدلالية والأبعاد البلاغية للسياق:

حـين ننتقـل مـن مرحلـة تفكيـك الفعـل إلـى مرحلـة معاينتـه داخـل الـنص، نكتشـف أن المفـردة القرآنيـة ليسـت مجـرد وحـدة لغويـة صـلبة، بـل هـي كـائن يتشـكل بمعالمـه النهائيـة وفقـاً لـ الـنظم السـياقي. فـي هـذا المبحـث، نسـعى لفهـم كيـف تتـنفس أفعـال المجـيء داخـل الآيـات، وكيـف تتحول السمات المكوناتية إلى وظائف بلاغية وإعجازية مبهرة.

أولاً: فلسفة المعنى وعلم الدلالة.. من المعجم إلى حيوية النظم:

الدلالـة فـي القـرآن الكـريم ليسـت مجـرد تعريـف للكلمـة، بـل هـي رحلـة تبـدأ مـن أصـغر وحـدة صـوتية (الفـونيم) لتصـل إلـى الغايـة المقصـدية مـن الآيـة. نحـن هنـا لا نتعامـل مـع (جـاء) و(أتـى) كمرادفـات معجميـة، بـل كـأدوات هندسـية؛ صـممها الـنظم القرآنـي لغـرض محـدد، فالدلالـة السـياقية هـي التـي تخبرنـا لمـاذا اسـتُعمل هـذا اللفـظ فـي مقـام التهديـد، ولمـاذا آثـر القـرآن غيـره فـي مقـام التبشـير. إن الـربط بـين الـدال (اللفـظ) والمـدلول (المعنـى الـذهني والـواقعي) داخـل السـياق هـو مـا يمنح النص إعجازه، حيث تصبح الكلمة هي الخيار الوحيد الذي يسد حاجة المعنى.

ثانياً: البنية الفونيمية (الصوتية) وأثرها في قوة المجيء:

قبـل أن نفهـم المعنـى، نحـن نسـمعه. فـي حقـل المجـيء تلعـب الأصـوات دوراً تمهيـدياً للحالـة النفسية:

- الفعـل (جـاء): بجـرس مـده القـوي (الهمـزة) بعـد مـد طويـل، ممـا يعطـي إحساسـاً بالاصـطدام والتحقـق والشـدة. وهـذا يفسـر اقترانـه بـأهوال القيامـة مثـل قولـه تعـالى: ﴿ فَـإِذَا جَـاءَتِ الصَّـاخَّةُ ﴾ (سورة عبس: ٣٣)؛ فالصوت هنا يجسد الحدث.
- الفعـل (أتـى): بصـوته الهـادىء ينتهـي بـألف مقصـورة (لـين)، ممـا يـوحي بالانسـياب واليسـر، وهـذا يتناسـب مـع سـياق قولـه تعـالى: ﴿ أَتَـىٰ أَمْـرُ اللَّهِ فَـلَا تَسْـتَعْجِلُوهُ ۚ سُـبْحَانَهُ وَتَعَـالَىٰ عَمَّـا يُشْـرِكُونَ ﴾ (سورة النحل: ١)؛ حيث المجيء هنا قدري محتوم لكنه يسير الوقوع على إرادة الله.

ثالثاً: تحليل الوظيفة السياقية:

لكـي نـرى كيـف تتحـول السـمات المكوناتيـة وهـي تعمـل علـى أرض الواقـع البلاغـي، نتأمـل النماذج الآتية:

1. المفارقة بين (جاء) للشدة و(أتى) لليسر:

تعتبـر قصـة مـريم (عليهـا السـلام) المختبـر الأدق لهـذه الثنائيـة. ففـي قولـه تعـالى: ﴿ فَأَتَتْ بِـهِ قَوْمَهَـا تَحْمِلُـهُ﴾ (سـورة مـريم: ٢٧)، عبّـر بــ (أتـت) لأن الفعـل المـادي المتمثـل فـي المشـي وحمـل الرضـيع فعـل طبيعـي ميسـور. ولكـن حـين اصـطدمت مـريم بـردة فعـل القـوم واتهـامهم العظـيم، انتقـل الخطـاب إلـى الفعـل الثقيـل: ﴿ فَأَتَتْ بِـهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُـهُ ۖ قَـالُوا يَـا مَـرْيَمُ لَقَدْ جِئْـتِ شَـيْئًا فَرِيًّـا ﴾ (سـورة مـريم: ٢٧) ؛ فالفعـل (جئـتِ) هنـا يجسـد فظاعـة الموقـف النفسـي والاجتمـاعي وثقل التهمة الموجهة إليها.

2. سمة الشهود والارتباط بالمصير في (حضر):

فـي السـياق القرآنـي، يتحـول المجـيء فـي فعـل (حضـر) إلـى شـهود حسـي يقطـع الشـك بـاليقين، كمـا فـي قولـه: ﴿ أَمْ كُنْـتُمْ شُـهَدَاءَ إِذْ حَضَـرَ يَعْقُـوبَ الْمَـوْتُ إِذْ قَـالَ لِبَنِيـهِ مَـا تَعْبُـدُونَ مِـنْ بَعْـدِي ۖ قَـالُوا نَعْبُـدُ إِلَٰهَـكَ وَإِلَٰـهَ آبَائِـكَ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْـمَاعِيلَ وَإِسْـحَاقَ إِلَٰهًـا وَاحِـدًا وَنَحْـنُ لَـهُ مُسْـلِمُونَ ﴾ (سـورةالبقرة: ١٣٣).هنـا (حضـر) ليسـت مجـرد وصـول حركـي، بـل هـي وقـوف علـى لحظـة المصير، مما يضفي صبغة واقعية ورهبة على المشهد . (ابن عطية،(ب،ت)،214)

3. سمة المورد والغاية الحيوية في (ورد):

ينفـرد الفعـل (ورد) بمجـيء يقصـد نقطـة حيـاة أو غايـة محـددة، كمـا فـي: (القصـص: ٢٣) . هـذا الفعـل يحمـل شـحنة [الوصـول + الحاجـة]، وهـو مـا يفسـر اسـتخدامه فـي سـياق المناهـل والمـوارد، ولا تـؤدي (جـاء) هـذه الخصوصـية الغرضـية بـنفس الدقـة (الراغـب الأصفهاني،1992م،520،الشعاوي،(ب،ت)،9189)

رابعاً: الأبعاد الصرفية (المجرد والمزيد):

الزيـادة فـي بنيـة الفعـل المبنـي تـؤدي حتمًـا إلـى تمديـد فـي المعنـى؛ فاسـم الفاعـل (الطـارق) فـي قولـه تعـالى: ﴿وَالسَّـمَاءِ وَالطَّـارِقِ﴾ (سـورة الطـارق: ٢)، لا يعبـر فقـط عـن المجـيء، بـل عـن سـمة [المباغتـة + الاختـراق] فـي سـكون الليـل، وهـو مـا يعطـي للوصـف قـوة لا تتـوفر فـي الفعـل الماضـي المجـرد (طـرق). كـذلك الفعـل (أقبـل) يحمـل فـي طياتـه سـمة [+ التوجـه النفسـي]، لـذا جـاء فـي مقـام الطمأنـة لموسـى عليـه السـلام: ﴿فَلَمَّـا رَآهَـا تَهْتَـزُّ كَأَنَّهَـا جَـانٌّ وَلَّـى مُـدْبِرًا وَلَـمْ يُعَقِّـبْ﴾ (سورة القصص: ٣١). ليعبر عن حركة جسدية ممتزجة بسكينة نفسية.

خامساً: التكامل بين السياق والأثر النفسي:

إن اختيار القرآن لأفعال مثل (غشى) في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ﴾

(سـورةآل عمـران: ١٥٤) يعكـس سـمة [+ الشـمول]، حيـث يشـعر القـارئ أن المجـيء (هنـا النعـاس أو الأمنـة) قـد أحـاط بهـم مـن كـل جانـب كالغشـاء الـذي يغطـي العـين. ممـا يحـول الفعـل من وصف للحركة إلى رسم لحالة نفسية شاملة بالهدوء والسكينة.

تـرى الباحثـة إن دراسـة أفعـال المجـيء فـي القـرآن الكـريم تكشـف لنـا عـن منظومـة إعجازيـة متكاملـة؛ حيـث يلتقـي الصـوت بالصـرف، ويتعـانق اللفـظ مـع السـياق، لينتجـا معنـىً دقيقًـا يتناسـب مـع عظمـة الخطـاب الإلهـي. لقـد أثبـت التحليـل أن الفعـل (جـاء) وأخواتـه ليسـوا مجـرد أدوات للحركـة، بـل هـم رسـائل مشـفرة تعبـر عـن تـدرج الأحـداث بـين السـهولة والصـعوبة، وبـين الحضـور المـادي والشـهود الغيبـي. هـذا التنـوع لـيس ترفـاً لغويـاً، بـل هـو ضـرورة بلاغيـة لبيـان عظمـة القصـد الإلهي ودقة التصوير القرآني للمشاهد والمواقف.

الخاتمة

في ختام هذه الجولة التحليلية في فضاءات النص القرآني، نخلص إلى:

- أنَّ دراسـة (السـمات المكوِّناتيـة لحقـل المجـيء) لـم تكـن مجـرد تـرفٍ لغـوي، بـل كانـت سـبيلاً للكشـف عـن نظـام دلالـي هندسـي بـالغ الدقـة. لقـد تبـيّن لنـا أن الخطـاب القرآنـي يتعامـل مـع اللغـة بوصـفها وحـدات طاقـة تُـوزع فيهـا الوظـائف بـين الأفعـال بنـاءً علـى معـايير سـياقية، زمنيـة، ونفسية محكمة.
- لقـد أثبـت البحـث أن الفعـل (جـاء) يمثـل الثقـل المركـزي فـي هـذا الحقـل، حيـث يُسـتدعى للتعبيـر عـن اللحظـات المفصـلية والأحـداث العظـام، بينمـا تتـولى بقيـة الأفعـال (أتـى، قـدم، ورد، وفـد...) رسـم التفاصـيل الفرعيـة والمشـاهد الدقيقـة، لتتكامـل جميعـاً فـي بنـاء شـبكة دلاليـة لا يغنـي فيهـا لفظٌ عن غيره، مما يؤكد أن وهم الترادف يتلاشى أمام إعجاز النظم القرآني ودقة اختياراته.

نتائج الدراسة:

بعد الفحص والتحليل، توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج الجوهرية، نوردها فيما يلي:

1. مركزيـة النـواة الدلاليـة: يُشـكّل الفعـل (جـاء) القطـب المحـرك داخـل حقـل (المجـيء)، حيـث يمتلـك أوسـع مسـاحة دلاليـة تشـتمل علـى سـمات القـوة والتحقـق، وتتفـرع عنـه أفعـال أخـرى تشـترك معـه في أصل الحركة لكنها تتمايز عنه في الشحنات السياقية الملحقة.

2. تفنيـد التـرادف التـام: أكـدت الدراسـة أن حقـل المجـيء فـي القـرآن يقـوم علـى التقاسـم الـوظيفي لا التـرادف؛ فلكـل فعـل حيـزٌ دلالـي خـاص يتحـدد بنـاءً علـى درجـة حـدة الحـدث، وسـرعة وقوعـه، والجو النفسي المحيط به.

3.سـلطة السـياق: إن السـمات المكوّناتيـة ليسـت قوالـب ثابتـة، بـل هـي عناصـر حيـة تتحـدد قيمتهـا النهائيـة مـن خـلال التفاعـل مـع القـرائن اللفظيـة والبنيـة التركيبيـة للآيـة، ممـا يجعـل السـياق هو المختبر الحقيقي لتحديد دقة الفعل.

4.التمـايز بـين (جـاء) و(أتـى): يمثـل الفـرق بـين هـذين الفعلـين أنموذجـاً للإعجـاز؛ حيـث اقتـرن (جـاء) بالشـدة والأمـور الجسـام (كـالموت والقيامـة)، بينمـا اسـتقر (أتـى) فـي فضـاءات اليسـر والمطاوعـة، مما يبرز مراعاة القرآن للجهد المبذول في طبيعة الحدث.

5.أثـر البنيـة الصـرفية: أظهـر التحليـل الصـرفي أن الانتقـال مـن المجـرد إلـى المزيـد لـيس مجـرد زيـادة فـي الحـروف، بـل هـو توجيـه متعمـد للدلالـة نحـو التحقـق أو المبالغـة أو القصـد، ممـا يـربط مبنـى الفعل بمراميه الغائية.

6.الانضـباط الحقلـي: يُعـدّ حقـل المجـيء فـي القـرآن نظامـاً دلاليـاً منضـبطاً بصـرامة؛ حيـث تحكمـه علاقات داخلية تجعل منه نسيجاً متلاحماً يساهم في تحقيق الانسجام الكلي للنص.

7.قصـدية الاختيـار اللغـوي: إن ورود فعـلٍ دون آخـر لـيس اعتباطيـاً بـأي حـال، بـل هـو اختيـار مقصـود يهـدف إلـى نقـل تجربـة شـعورية محـددة، ممـا يثبـت أن كـل مفـردة هـي (قطـب الرحـى) في موضعها.

8.الإعجـاز المكوّنـاتي: خلصـت الدراسـة إلـى أن تكامـل الدلالـة المعجميـة مـع (السـمات المكوّناتيـة) يمثـل مظهـراً مـن مظـاهر الإعجـاز الـدلالي، حيـث يـنجح القـرآن فـي إيصـال أقصـى درجـات التأثير النفسي والبياني من خلال أدق الفروق اللفظية.

توصيات البحث:

بنـاءً علـى مـا تقـدم، توصـي الدراسـة بضـرورة تعمـيم مـنهج التحليـل المكونـاتي علـى بقيـة الحقـول الدلاليـة فـي القـرآن الكـريم (كحقـل الهـلاك، أو حقـل العطـاء)، وعـدم الاكتفـاء بالمعـاجم التقليدية، وذلك لاستنطاق كنوز اللغة الكامنة في أدق تفاصيل المفردات.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1.ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد. (1984). التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر.

2.ابـن عطيـة الأندلسـي، عبـد الحـق بـن غالـب. (د.ت.). المحـرر الـوجيز فـي تفسـير الكتـاب العزيـز (عبد السلام عبد الشافي محمد، محقق). دار الكتب العلمية.

3.ابـن فـارس، أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا. (1979). مقـاييس اللغـة (عبـد السـلام محمـد هـارون، محقق). دار الفكر.

4.ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. (د.ت.). لسان العرب. دار صادر.

5.ابـن هشـام، جمـال الـدين. (1964). مغنـي اللبيـب عـن كتـب الأعاريـب (مـازن المبـارك ومحمـد علي حمد الله، محققان). دار الفكر.

6.الأصـفهاني، الحسـين بـن محمـد (الراغـب الأصـفهاني). (1992). المفـردات فـي غريـب القـرآن (صفوان داوودي، محقق). دار القلم.

7.الآلوسـي، شـهاب الـدين محمـود بـن عبـد الله الحسـيني. (1415هـ). روح المعـاني فـي تفسـير القـرآن العظيم والسبع المثاني (علي عبد الباري عطية، محقق). دار الكتب العلمية.

8.أنيس، إبراهيم. (1975). دلالة الألفاظ. مكتبة الأنجلو المصرية.

9.جون لاينز. (1980). اللغة واللغويات (يارا عبد العزيز، مترجمة). دار الشروق.

10.الجـوهري، إسـماعيل بـن حمـاد. (1987). الصـحاح: تـاج اللغـة وصـحاح العربيـة (أحمـد عبـد الغفور عطار، محقق، ط4). دار العلم للملايين.

11.السامرائي، فاضل صالح. (2000). لمسات بيانية في نصوص من التنزيل. دار عمار.

12.السامرائي، فاضل صالح. (2003). معاني النحو. دار الفكر.

13.الشعراوي، محمد متولي. (د.ت.). تفسير الشعراوي. مطابع أخبار اليوم.

14.الطبرسـي، أبـو علـي الفضـل بـن الحسـن. (د.ت.). مجمـع البيـان فـي تفسـير القـرآن (هاشـم الرسولي المحلاتي، مراجع). دار إحياء التراث العربي.

15.الطبـري، محمـد بـن جريـر. (2000). جـامع البيـان فـي تأويـل القـرآن (أحمـد محمـد شـاكر، محقق، ط1). مؤسسة الرسالة.

16.الطوسي، محمد بن الحسن. (1957). التبيان في تفسير القرآن. المطبعة العلمية.

17.عمر، أحمد مختار. (1998). علم الدلالة. عالم الكتب.

18.القرآن الكريم.

19.القرطبـي، محمـد بـن أحمـد الأنصـاري. (د.ت.). الجـامع لأحكـام القـرآن (أحمـد البردونـي وإبـراهيم أطفيش، محققان، ط2). دار الكتب المصرية.

References

The Holy Qur'an.

1.Al-Alusi, S. D. M. A. A. (1415 AH). Ruh al-Ma‘ani fi Tafsir al-Qur’an al-‘Azim wa al-Sab‘ al-Mathani (A. A. Atiyyah, Ed.). Dar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah.
2.Al-Asfahani, A. H. M. (1992). Al-Mufradat fi Gharib al-Qur’an (S. Dawudi, Ed.). Dar Al-Qalam.
3.Al-Qurtubi, M. A. A. (n.d.). Al-Jami‘ li Ahkam al-Qur’an (A. Al-Barduni & I. Atfaysh, Eds.). Dar Al-Kutub Al-Misriyyah.
4.Al-Samarrai, F. S. (2000). Lamasat Bayaniyyah fi Nusus min Al-Tanzil. Dar Ammar.
5.Al-Samarrai, F. S. (2003). Ma‘ani Al-Nahw. Dar Al-Fikr.
6.Al-Sha‘rawi, M. M. (n.d.). Tafsir Al-Sha‘rawi. Akhbar Al-Yawm Press.
7.Al-Tabarsi, A. A. F. A. H. (n.d.). Majma‘ Al-Bayan fi Tafsir Al-Qur’an (H. Al-Rasuli Al-Mahallati, Rev.). Dar Ihya’ Al-Turath Al-‘Arabi.
8.Al-Tabari, M. J. (2000). Jami‘ Al-Bayan fi Ta’wil Al-Qur’an (A. M. Shakir, Ed.). Mu’assasat Al-Risalah.
9.Al-Tusi, M. A. H. (1957). Al-Tibyan fi Tafsir Al-Qur’an. Al-Matba‘ah Al-‘Ilmiyyah.
10.Anis, I. (1975). Dalalat Al-Alfaz. Maktabat Al-Anglo Al-Misriyyah.
11.Ibn ‘Ashur, M. T. M. (1984). Al-Tahrir wa Al-Tanwir. Al-Dar Al-Tunisiyyah lil-Nashr.
12.Ibn ‘Atiyyah Al-Andalusi, A. A. G. (n.d.). Al-Muharrar Al-Wajiz fi Tafsir Al-Kitab Al-‘Aziz (A. A. M. Muhammad, Ed.). Dar Al-Kutub Al-‘Ilmiyyah.
13.Ibn Faris, A. F. Z. (1979). Maqayis Al-Lughah (A. S. M. Harun, Ed.). Dar Al-Fikr.
14.Ibn Hisham, J. A.-D. (1964). Mughni Al-Labib ‘an Kutub Al-A‘arib (M. Al-Mubarak & M. A. Hamdallah, Eds.). Dar Al-Fikr.
15.Ibn Manzur, M. M. A. (n.d.). Lisan Al-‘Arab. Dar Sadir.
16.Jawhari, I. H. (1987). Al-Sihah: Taj Al-Lughah wa Sihah Al-‘Arabiyyah (A. A. Attar, Ed., 4th ed.). Dar Al-‘Ilm lil-Malayin.
17.Lyons, J. (1980). Language and Linguistics (Y. A. Aziz, Trans.). Dar Al-Shuruq.
18.Omar, A. M. (1998). Ilm Al-Dalalah. Alam Al-Kutub